أعمال موجهة مادة: بيبليوغرافيا النقد الأدبي القديم

الحصة الثانية: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

ترجمة للكاتب

المرزوقي اسمه أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، عالم نحوي ورحالة وجغرافي، ولد في أصفهان، من علماء الأدب واللغة والنحو، قال الصاحب بن عباد : فاز بالعلم من أصفهان ثلاثة : حائك وحلاج وإسكاف فالحائك هو المرزوقي، توفي عام 421 هـ الموافق1030 م.

لا تذكر المصادر عن نشأته العلمية إلا النزر القليل، فقد كان من تلاميذ أبي علي الفارسي، قرأ عليه كتاب سيبويه، والمرزوقي نفسه كان يشير في بعض مصنفاته إلى أستاذه المذكور بلفظ (شيخنا أبو علي)، ومع أن هذه المصادر ذكرت أن الناس أخذوا عن المرزوقي واستفادوا منه، وأنه كان الحجة في وقته إلا أنها اكتفت بالإشارة إلى تلميذ له يدعى (سعيد البقال)، ومن هذا القليل الذي ذكر عن المرزوقي أيضاً أنه كان معلم أولاد بني بويه بأصفهان ويقال إن الصاحب بن عباد دخل إليه فما قام له، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه.

وقد نبغ في اللغة حتى أصبح من علماء اللغة، كما كان في الشروح اللغوية المستفيضة التي أقامها على ديواني الحماسة والمفضليات، وعلى كتاب الفصيح لثعلب، وكما يعد المرزوقي ناقدا أدبيا، نسبة إلى المقدمة النقدية التي قدم بها لكتابه شرح ديوان الحماسة.

وفاته وآثاره

ألف المرزوقي عدداً من المصنفات وصل إلينا بعضها مطبوعاً أو مخطوطاً، وما يزال بعضها الآخر مفقوداً، منها شرح ديوان الحماسة، والآثار الآتية:

– الأزمنة والأمكنة: طُبع في مجلدين، وهو من كتب المعارف العامة، بسط فيه المرزوقي ما يتعلق بالزمان والمكان وما يرتبط بهما من مناسبات دينية واجتماعية، قسمه إلى أبواب، تناول في بعضها ماهية الزمان وصفاته، الليل والنهار، الفصول الأربعة، البروج، أسماء الشهور عند العرب، السنة الشمسية، منازل القمر، الأعياد والأشهر الحرم ، مشاهد الحج، معنى الحول والسنة، أسماء الدهر.

– القول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما، وهي رسالة ذكر أنها مطبوعة.

– شرح المفضليات: مخطوط، وهو شرح ضخم لديوان المفضليات، وهي الأشعار التي اختارها المفضل الضبي، وهذا الشرح ألفه المرزوقي بعد شرحه لديوان الحماسة كما ذكر في مقدمته، ومنهج الكتابين يكاد يكون واحداً.

– شرح الفصيح: مخطوط، شرح فيه المرزوقي كتاب «الفصيح» لثعلب، وهذا الأخير كتيب في اللغة بناه مؤلفه على ذكر ما هو فصيح من الألفاظ والأبنية وينتمي إلى كتب اللحن اللغوي.

– الأمالي: مخطوط، تناول فيه طائفة من الآيات والأحاديث والأمثال والحِكم مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة.

وصف الكتاب

الكتاب: شرح ديوان الحماسة

المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ(

المحقق: غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين

الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م

عدد الصفحات: 1320.

مضمون الكتاب

كتاب (شرح ديوان الحماسة): طُبع في مجلدين، وهو شرح لقصائد ومقطعات اختارها الشاعر أبو تمام، موزعة على موضوعات الشعر بدأها بباب الحماسة (والمراد به الفخر وكل ما يقال في الحروب) ثم ، ويليه تسعة أبواب وهي: باب المراثي، ثم باب الأدب، فباب الأضياف، فباب الصفات، فباب السير والنعاس، فباب الملح، ثم آخر باب وهو باب مذمة النساء. ولما كان باب الحماسة أولها وأوسعها سمي الديوان باسمه.

وقد عمد المرزوقي إلى شرح أبيات الحماسة بيتا بيتا، كل بيت على حدة وفي بعض الأحيان يشرح معنى بيتين أو ثلاثة متتاليين ويكون شرحه مفصلا.

وقد نال اختيار أبي تمام إعجاب العلماء، حتى قيل: أبو تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره، فتصدى غير واحدٍ لهذا الديوان بالشرح والتعليق قبل المرزوقي من أمثال أبي بكر الصولي، والآمدي، والعسكري، وبعده من أمثال المعري والتبريزي، وابن سيده، ويعد شرح المرزوقي أوسع الشروح التي وصلت إلينا وأكثرها عناية بمعاني الشعر، وبالنقد والموازنة، واللغة الاشتقاق، ومسائل النحو والتصريف. وعبارته في الشرح رصينة متخيرة، يتكلف لها الصنعة حيناً ويعمد حيناً آخر إلى السجع، وقد سلف أنه قدم لهذا الشرح بمقدمة نفيسة أثارت إعجاب النقاد المعاصرين، وقد اتكأ التبريزي على شرح المرزوقي فسلخ منه جُل مادته بلا عزو أو تصريح.

وتعد المقدمة التي كتبها الحسين المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة من أنفس ما كتب في النقد القديم على وجازتها إذ استطاع أن يبين فيها أسباب شرحه لحماسة أبي تمام، ويصور فيها أهم المشكلات التي واجهها عصره من الناحية النقدية والإبداعية، منها مشكلة المصنوع والمطبوع، ومشكلة العلاقة بين الشعر والنثر، ومشكلة المعيار النقدي الذي تقوم عليه المفاضلة بين الأشعار، وأخيرا مشكلة العلاقة بين اللفظ والمعنى، كما استطاع المرزوقي أن يستوعب ما كتبه الأوائل في معالجة المشكلات النقدية، والتي صاغها بأسلوب البصير بفنون الشعر والنثر، فقد ذكر أن ما جعله يقبل على هذا الشرح هو إجابة السائل عن شروط الاختيار في ديوان الحماسة، والإجابة عما يميز الشعر من النثر "توليد الصنعة من طريفها، وليعلم فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الأتي السمع على الأبي الصعب"[1].

منهج المرزوقي

خالف المرزوقي منهج السابقين الذين كانوا يعتمدون في شرح النصوص الشعرية على النقل والرواية، وانتهجوا في ذلك شرح الألفاظ الغريبة والعبارات المشكلة، وفي الأخير تعيين المعنى الكلي للنص، أي انطلاقا ن الجزء للوصول إلى الكل. خالف المرزوقي هؤلاء واعتمد على العقل والدراية وسار وفق منهج يقوم على:"دعامات فنية ومقومات أدبية وعلمية، تتآزر فيما بينها لتخدم النص الشعري، وتضيء جوانبه، وتبرز سماته ومعانيه في أجمل صورة"[2].

أو هو المنهج الذي يقوم على استعراض الروايات، ومقارنتها واختيار أفضلها،وأجودها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقصده"[3].

وقد توصل المرزوقي إلى هذا المنهج بعد أن طرق عدة أبواب منها: باب الرواية، باب اللغة، باب النحو، باب علوم البلاغة، باب النقد. ويمكن أن نحدد سمات منهج المرزوقي في ما يلي:[4]

1- المفاضلة بين الروايات: يعمد المرزوقي إلى ذكر رواية أخرى إلى جانب الرواية الأصلية في الحماة، ويحاول أن يفاضل بين الروايتين واضعا في اعتباره الأس الآتية:

- فصاحة الرواية
- بلاغة الرواية
- سلامة الرواية
- جودة الرواية وشهرتها

[1]- المرزوقي الحسين، شرح ديوان الحماسة، ج1، تح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص10.
[2]- ينظر: أحمد جمال العميري، شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح، ج2، دار المعارف، مصر، 1981، ص 129.
[3]- المرجع نفسه، صن.
[4]- ينظر: شريفة أكساس، وسالم عدون، منهج المرزوقي في رواية الشعر من خلال شرح ديوان الحماة لأبي تمام، مجلة معارف، م17، ع1، جامعة آكلي محمد أولحاج، البويرة، جوان 22، 594 وما بعدها

الاستجادة دون تعليل أي تفضيل رواية اعتمادا على الإحساس الفردي دون تعليل.

2-مجال نقد الروايات: حيث لا يكتفي المرزوقي بعرض الروايات عرضا مجردا بل كان يدقق النظر فيها فاحصا وناقدا ومصوبا، وما يمكن أن نلاحظه في هذا المجال ما يلي:

- أن نقد الرواية عند المرزوقي يعتمد أحيانا على النظر في مدلول ألفاظ الرواية ومدى مناسبتها للسياق الذي وردت فيه.

- اهتمام المرزوقي بالمعنى لما له من قيمة في نقد الرواية وتصويبها.

- مراعاة قواعد العروض والقوافي في نقد الرواية، فهو ينقدها بناء على عيب عروضي ورد فيها.

- سار المرزوقي على أساس منهجي في التثبت مما يقوله في نقد الرواية، وذلك بالرجوع إلى ما يقع تحت يده من نسخ الحماسة.

3- الحوار والنقاش، حيث كان يقول:" فإن قيل كذا... قلت"أو يقول:"ألا ترى قوله...".

4-الاعتماد على ما خلفه بعض العلماء الكبار كالأصمعي وابن الأعرابي وأبي عبيدة وغيرهم.

كأن يقول: "وقال بعض الشيوخ" بدون تحديد

أو"سمعت أصحاب المعاني..."

أو"وقال أكثر أهل اللغة..."

أو"ومر بي في ما قرأته من مجاوبات قريش..."

5- الاعتماد على أحداث التاريخ وما جاء في الأمثال

6-التمحيص والتثبت القائمان على البحث والتنقيب

7-الاستدلال على صحة الرواية بالمذهب الفني للشاعر

أهمية الكتاب

يعد شرح المرزوقي أوفى الشروح الأدبية وأكملها، لكونه اشتمل على تحليل أبيات الحماسة من عدة جوانب بلاغية ونحوية وصرفية وغيرها. فضلا عن المقدمة النقدية التي صدر بها كتابه؛ إذ أنها تدل على تفتحه ووعيه الشامل، فبمقدمته النقدية، وتحليله الدقيق أصبح لشرحه شهرة واسعة، لم ينلها أي شرح آخر لديوان الحماسة.

للاستزادة أكثر ينظر:

1- ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، 1991

2- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت 1991.

3- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب دار الثقافة، بيروت، لبنا، 1983.